تعليم المسلمين: قاعدة الشك لا يزيل اليقين

(182) [تعليم المسلمين: قاعدة الشك لا يزيل اليقين]

خطبة جمعة بتاريخ: (1429 / 21 / 12 هـ)

(للشيخ المحقق: أبي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري - حفظه الله تعالى -)

=====

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا بِاللَّهِ مُسْلِمِينَ» [إلى عمران: 102]. «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَفَلَقَ بِهَا لُحُومَكُمْ رِجَالًا كَثِيرًا وَوَسَّاءُ لَهُمْ وَاللَّهُ الَّذِي تَسْتَغِيثُونَ بِهِ، وَلَا تَحْزَنُوا إِنْ كَانَ عَلَيْكُمْ مِنْهُ حَسْرَةٌ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْغَنِيُّ» [النساء: 1]. «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَوَلُّوا لَهُمْ قُلُوبَكُمْ وَلَا يَأْتِ الْكُفْرَ أَكْثَرُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعَاطِينَ» [الأنفال: 71-70].

أما بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار.

أما بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار.

أيها الناس! روي مسام في صحيحه بن حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسام قال: **«قد أفلح من أسامر ورتق كفافاً وفتحه الله بها آتاه»**.

هذا الحديث فيه بيان سبيل الفلاح، وبذلك يكون الذي اتصف بهذه الصفات صفة الإسلام، وصفة الفئاة يعار من ذلك أنه زكى نفسه، لأنه لا يفاح إلا من زكاهما، قال الله عز وجل في كتابه الكريم: **«فَدَأَمَتْ مِنْ زَكَاةٍ * وَقَدْ كَفَّتْ مِنْ كَسَافِهِا»** [الشعس:10-9]، ولا تتعارض هذه الآية مع قول الله عز وجل: **«فَلَا تُزَكُّوا أنفسَكُمْ مَوْءَأَمَرٍ مِنْ نَفْسِ،»** [النجم:32]، فهذه الآية المقصود بها: **«فَدَأَمَتْ مِنْ زَكَاةِها»** أي: بطلانة الله، وبالإقتناع بعدها، والاية الذخري: **«فَلَا تُزَكُّوا أنفسَكُمْ»** [النجم:32]، أي: لا يزكي الإنسان نفسه فطرطها أو يوحدها بها ليس فيها، ويعتقداً زكاتها وهي ليست كذلك، فالله اعلم بأهل التقى: **«هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَتَقَى»** [النجم:32].

فتركبة النفوس بطلانة الله عز وجل هذا امر بطولوبه، والله عز وجل خالق العباد من اجبه ورب الفلاح على فعله: **«فَدَأَمَتْ مِنْ نَفْسِ * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى»** [الاعلى:15-14]، من زكى نفسه بطلانة الله افلاح، ولا يترتب الفلاح إلا لدخول الايمان، لقول الله عز وجل في كتابه الكريم: **«فَدَأَمَتْ الْمُؤْمِنُونَ * أَذِينَ مُمْ فِي صَلَاتِهِمْ كُدِّعُونَ * وَالَّذِينَ مِنْ أَلْفَوْ هَرَضُونَ * وَالَّذِينَ مُمُ الْإِكْرَاهِ فَاعْبُونَ * وَالَّذِينَ مُمُ لِفُرُوجِهِمْ حَاطُونَ * إِلَّا عَلَى آتَوَاجِهِمْ أَوْ مَا يَكْتُمُ آبَاهُمُ فِيمُمْ عِزْرَ مُؤْمِنُونَ»** [المؤمنون: 1-6].

مولك هم الذين ظفروا بالفلاح، ولا يفاح إلا من علم الله سبحانه وتعالى صدقه وإخلاصه وتقواه وصدق نيته لله سبحانه، قال الله عز وجل: **«يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَعُوا آيَةَ الْوَسِيلَةِ وَتَأْمَدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»** [المائدة:35]، ولا يفاح إلا من علم الله خيره، لقول الله عز وجل: **«يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا بُكُوعُوا وَأَسْجُدُوا وَابْتَعُوا رَبَّكُمْ وَأَهْلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»** [الحج:77]، فترتب الله سبحانه وتعالى الفلاح على عبادة الله وعلى فعل الخير، وهادام الخير كذلك، أن من توفّر فيه ذلك كان من المهلحين، فإن لظفر ما يجب أن يفتقر به العبد، ولظفر ما يفاح به، هو قلنائه بالحق والهدى، هو تصحيح عقيدته على السجدا: ففي صحيح مسام بن حديث الفضل بن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسام قال: **«ذاق طعم الايمان من رضي بالله رباً وبالاسلام ديناً وبعهد رسولاً»**، فهذا الذي يذوق طعم الايمان، وهذا الذي يفاح بالجنة والرضوان، وذلك لأنه رضي وفتح بالله سبحانه وتعالى، وبربوبيته، وبالمومينه واسمائنه وصفاته، رضي أن يكون عبداً لله، لا لغريم، رضي أن يكون كل حياته لله سبحانه وتعالى: **«قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنَسْكَي وَحَجَّتِي وَمَهْجَتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ وَبَدَّلَتْ أُمَّتٌ مَقَالًا وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ»** [الانعام:162-163]، رضي أن لا يعبد إلا الله، ولا يدعى فيها لا بقدر عليه إلا الله، ولا يذبح إلا لله، ولا يذخر إلا لله، ولا يرحى إلا هو فيها، من شأنه سبحانه وتعالى، ولا يخلف إلا منه فيها، من شأنه سبحانه وتعالى، وهكذا الحجية وهكذا التوكل... وهكذا سبيل العبادة والطاعات.

فهذا الذي توفّر فيه ذلك، رضي بالله رباً وهو الفلاح حقاً، وهكذا رضي بالإسلام ديناً: **«إِنَّ الَّذِينَ عَدَدَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ»** [إل عمران:19]، **«وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآذِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ»** [إل عمران:85].

هذا هو الدين الذي رضي به الله له: **«الَّذِينَ كَفَرَتْ كَفَرٌ ذُنُوبُهُمْ وَأَتَّهَمَتْ عَلَيْهِمْ يَهُودِيَّتُ كَفَرُ الْإِسْلَامِ دِينًا»** [المائدة:3]، ورضي برسول الله صلى الله عليه وسام نبياً، ويقبل عنه كل ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسام، فإن الله عز وجل اتنا ذلك: **«قد أفلح من أسامر ورتق كفافاً وفتحه الله بها آتاه»**، اتك الله الإسلام ففتح به، اتك الله السنة ففتح بهما: **«يُؤَيَّا اتَّكَمُ الرِّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَكَمَ عَنْهُ فَأَتَّبُوا»** [الحشر:7] في كل صغيرة وكبيرة يجب القنلة بها جاء به رسول الله صلى الله عليه وسام، ولا يجوز التردد على شيء من ذلك إلا من اللقوال والافعال واللباس، لا لها عدو ذلك بها في العقيدة والقنوب والنبوا والإخلاص كله له: **«وَحَجَّتِي وَمَهْجَتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»** [الانعام:162] طهاراً وباطناً، قانماً وقلناً، ضاعاً وقريناً، ايلاً وهماً، كل حياته يحلها لله سبحانه وتعالى، هذا هو الرضا، هذا هو اللذذ ما اتنا الله عز وجل، واما اتنا رسول الله صلى الله عليه وسام: **«يُؤَيَّا اتَّكَمُ الرِّسُولُ فَخُذُوهُ»** [الحشر:7]: **«فتحته الله بها آتاه»**.

فيا ايها المسلموا! اتك الله خيراً كثيراً، اعطاك الله الإسلام، اعطاك الله الدين الحق: **«هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَمِيكًا»** [الفتح:28]، اتك الله عز وجل الهدى: **«وَأَنْ تُحْفِعُوهُ فَاتَّخَذُوا وَهًا عَلَى الرِّسُولِ أَلَّا يَأْتِيَ الْبُيُوتَ»** [التور:54]، ولا يجوز التشكك والارتياب فيها اتنا الله ورسوله صلى الله عليه وسام في شيء قابل ولا كثير، لذا ذكر الله سبحانه وتعالى العقيدة، لأنهم كانوا في ريبهم يترددون، ومن أجل ذلك صار منهم ما صار بها أنتم تعابوه، بسبب عدم اليقين وعدم القنلة بها جاء به رسول الله صلى الله عليه وسام، قال الله: **«وَأَرْبَابٌ مُتَّبِعُونَ فَمُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَذَكَّرُونَ»** [البقرة:45]، وصار تكذيب الرسل، وصار أهل النار هم الذين يترددون في ريبهم وشكوكهم، وليست لهم قنلة فيها اتهم الله وبها اتهم الله.

فواجب على المسلم أن يصحح عقيدته، هناك امور لا تقبل الشك، ولا تقبل الارتياب ايذاً، كتاب الله لا يجوز فيه الشك أنه حق، وأنه يجب اتباعه والامتثال له، والعمل به، في كل اية من آياته، كله حق: **«هُوَ الَّذِي يُبَيِّنُ لَكُمْ آيَاتِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ أَنَّكُمْ تَعْلَمُونَ»** [البقرة:1]، وقال الله سبحانه وتعالى: **«هُوَ الَّذِي أَلْكَتِبَ لا رَبِّبَ فِيهِ مَعَى لِلْمُؤْمِنِينَ»** [البقرة:2]، أي: لا شك فيه، لا ريب فيه أنه هدى، ومن شك أنه هدى، أو أن بعضه هدى وبعضه ليس بهدى، أو أن هدفاً منه ليس بهدى، فإن هذا الشك كفر، إن شكاً في كتاب الله كفر: **«هُدَى لِلْمُؤْمِنِينَ»** [البقرة:2]، ووضعهم الله عز وجل بقوله: **«الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُؤْتُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالَّذِينَ مُمُ يُؤْمِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»** [البقرة:5:3].

هذا هو سبيل الفلاح وهذا سبيل النجاة؛ الفئاة بها جاء به رسول الله صلى الله عليه وسام من القرآن والسنة دون افتئات أو تحدير أو تأخير: **«يُؤَيَّا كَانَ يُؤْمِنُونَ وَلَا مُؤْمِنَةٌ إِذَا قُضِيَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَّا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ»** [الاحزاب:36]، والذي يختار ما يشاء ويترك ما يحبه؛ حكمه أنه عاصي، وبعصيته بها لدت به إلى الكفر في بعض الحالات، قال الله: **«وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا»** [الاحزاب:36].

الظن ان الله لا يعار خلقه ولا يعار ظواهرهم او بواطنهم، كل ذلك باطل لقول الله عز وجل: **«لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ»** [الحاقة:18]. ولقول الله: **«إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ»** (آل عمران:5). وهكذا ظنون كثيرة وشكوك وتوهمات وعقائد فاسدة أدت بالعباد إلى ان كل انسان يريد ان يأخذ دقه بدمه. وكما اوزع لهم الشيطان وسوات لهم أنفسهم أنك ان لم تكن ذلياً تأكلك الذئاب، فمذا يطش بها، وهذا يظلم هذا، وهذا يسفك دم هذا، وهذا أيضاً يغي على هذا، او ان الانسان يتي هفوضاً أمره لله سبحانه وتعالى لاجئاً إليه، عاجلاً بالنسباب التي بينها سبحانه وتعالى. هذا هو إرادم الله عز وجل.

أيها الناس! ان الظنون والشكوكات والتوهمات لا تزيل ما كان يقيناً، وهذه قاعدة متيقنة ثابتة بأدلتها البينة، فلا يجوز ان يتأرجح الانسان في حق معلوم بالكتاب والسنة، ولا في شيء واضح بين جلي يبرهن عليه، اما ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن زيد بن عاصم، وفي مسلم او في بعض السنن أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قيل له: **«يا رسول الله الرجل يجد في بطنه شيئاً قال: لا يخرج حتى يسوع صوتاً أو يجد ريحاً»**. استدل أهل العلم بهذا الحديث: على (ان الشك لا يزيل الا باليقين). وهذه القاعدة تدخل تحتما عدة قواعد. ومن تلك القواعد: (على المدعي البينة وعلى المنكر اليمين) فإدماج النصل هو عدم ثبوت ذلك الشيء الذي ادعى به على شخص من الأشخاص، وإثبات الدعوى عليه طارئة، وإثباتها بالبينة، وإثباتها جازم في ذلك، وليس له الا اليمين فقط. هذه اصول.

ومن ذلك القول ب(البرائة النصية). فالانسان اذا كان على شيء على الاسلام هو على النصل، لا ينتقل من الاسلام الا بانقل صحيح موثق، على السنة لا ينتقل من السنة الا بانقل صحيح موثق يبرهن. هكذا لاخذ بالنصل. هذه قاعدة تندرج تحتما عدة قواعد. ومن ذلك: ان من شك في صلاته احصا اربعاً او ثلاثاً بنى على اليقين. بها في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: **«فليجعلها ثلاثاً وليكول ركنه وليسجد لسموه، فليبن على ما استيقن»** يعني على اليقين. وإذا شك اطاف ستة اشواط او سبعة اشواط جعلها ستة وبنى على اليقين وكول واحداً. **«دع يا بريك إلى ما لا يريك»**. وهكذا إذا شك اهدم وحكاه ان انما بيته وجب عليه الابتعاد عنها كلها. عن اللهم الذي كان مخلوطاً بالحدافة والهيئة: **«دع يا بريك إلى ما لا يريك»**. النصل تجب الهروبات والبعد عنها، وإذا شك في ان هذا البيوع صحيح او ليس بصحيح، او انه بيع مزلف فيه تجب يا كان فيه من الربيه. من العشي: **«دع يا بريك إلى ما لا يريك»**.

ومثلك اصول ونوابت تندرج تحت هذه القاعدة التي هي: ان اليقين لا يزال بالشك، ذلك لضعف الشك وضعف الظنون وإثبات طارئة، وان اليقين هو المطلوب. والذي أنزل الله به كتبه والذي أرسل الله به رساله.

فعلى المسلم ان لا يكون متحيزاً وتشككاً، وان يأخذ بالنصل والنوابت. وان يأخذ كذلك بها تيقن به من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وان يصبر في ذلك على ما هو واضح جلي بين. كل هذا امر مطلوب: **«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَوَلَّوْنَا يَا لَا تُفَكَّرُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا يَا لَا تُفَكَّرُونَ»** [الصف:3-2]. قال: **«إِنَّ الظَّنَّ لَا يَغْنَىٰ مِنَ الدَّقِّ شَيْئًا»** [يونس:36]. قال سبحانه: **«فاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّكُمْ إِلَىٰ رَبِّكُمُ الرَّجُوعُ»** [فصلت:6]. والاستغفارة إليه لازمة في هذه النور كلها.

وتسأل الله التوفيق.